كوفيد-19 والاستقرار في المنطقة العربية

بقلم د. مايكل شارنوف، كلية مركز نيسا

لعقود، كافحت دول الشرق الأوسط، ولا سيما الدول الفقيرة بالموارد مثل مصر ودول المشرق العربي، من أجل الحفاظ على سكانها بسبب ارتفاع معدلات الولادة وضعف الاقتصادات. وقد كانت البطالة مرتفعة في الشرق الأوسط قبل جائحة فايروس كورونا (كوفيد-19)، وكانت التفاوتات في الثروة عاملاً مساعداً لانتفاضات الربيع العربي في عام 2010.

وفي عام 2002، كشف تقرير التنمية البشرية العربية، وهي مبادرة برعاية الأمم المتحدة من قبل المثقفين العرب، بأن هناك أزمات سياسية واجتماعية واقتصادية عميقة تواجه المنطقة العربية. وخلصت الدراسة إلى أن المنطقة العربية، بالمقارنة بجميع المناطق الأخرى في العالم، قد واجهت عجزاً في التعليم وحقوق المرأة والحرية والاقتصاد. وعلى سبيل المثال، هناك 60 مليون بالغ أمّي، غالبيتهم من النساء. ويتم ترجمة 330 كتاباً سنوياً، وهو خمس عدد الكتب التي تترجمها اليونان. ويُمثل العرب 5% فقط من سكان العالم و 0.5% فقط من مستخدمي الإنترنت.

ويعيش واحد من كل خمسة عرب دون دولارين في اليوم. وفي مصر، هناك 40% يعيشون بأقل من دولارين في اليوم. وفي عام 1999، بلغ إجمالي الناتج المحلي للجامعة العربية 531 مليار دولار، أي أقل من إسبانيا (595.5 مليار دولار). وبحلول عام 2010، فإن 60% من العالم العربي كانوا تحت سن الثلاثين. وقبل انتفاضات الربيع العربي، كانت نسبة البطالة بين الشباب في مصر 43% وفي تونس 30 %.

وتُشكّل المعدلات المرتفعة للمواليد والاقتصادات المكتئبة تحديات حقيقية للحكومات العربية. وفي عام 2002، كان هناك 280 مليون شخص في المنطقة العربية. وفي عام 2015، ارتفع هذا الرقم إلى 370 مليون. وسوف يرتفع الرقم بحلول عام 2025، مع تقديرات تصل إلى 460 مليون. كيف ستحافظ الحكومات العربية على سكانها؟ كيف يمكنهم معالجة تلك التحديات الديموغرافية والاقتصادية من أجل التعامل مع مسألة خلق الوظائف ومنع هجرة الأدمغة؟ ما هي الإجراءات اللازمة التي يجب اتّخاذها من أجل توفير الأمن والاستقرار؟

منذ تفشي جائحة فايروس كورونا، فقد ملايين الأشخاص وظائفهم أو ظلوا تحت الحجر الصحي. وليس من الواضح كم من أولئك الذين فقدوا وظائفهم سيكونون قادرين على تأمين وظائفهم القديمة أو الحصول على وظائف جديدة. إن العالم يتعلم كيفية التكيف مع العمل عن بعد، ونتيجة لذلك، فقد تُدرك بعض الشركات أن إنتاجية وظائف معينة يمكن تقليصها أو جعلها مؤتمتة، الأمر الذي قد يؤدي إلى التخلّي عن بعض المهن.

وعلى الرغم من أن بعض الحكومات قد كان أداؤها أفضل من غيرها في التعامل مع الأزمة، إلا أن العديد من الناس يعيشون بأجر يومي وليس لديهم الكثير من المدخرات. إنهم مرهقون وقلقون بشأن إعالة أسرهم. وبالنسبة للآخرين، وخاصة الشباب الذين تأخروا عن الزواج بسبب المشاكل الاقتصادية والذين يعيشون في المنزل، فيمكن أن يكون الضجر من حياة الحجر الصحي والإحباط بمثابة مزيج خطير. وعلى عكس الولايات المتحدة الأمريكية، فلا يوجد لدى العديد من الدول العربية نظام رعاية اجتماعية حيث يمكن للحكومة تقديم المساعدة الاقتصادية للمحتاجين. ونتيجة لذلك، فكلما استمرت الأزمة، ازداد خطر الاستياء والهيجان ضد الحكومة.

وقد أدّت جائحة فايروس كورونا وبشكل مؤقت إلى وقف تجدد احتجاجات ما بعد الربيع العربي التي اندلعت في بعض الدول في عام 2019 – مثل لبنان والجزائر والعراق والسودان. وقد عاد بعض المتظاهرين - ولا سيما في لبنان - إلى الشوارع. ولسوء الحظ، فإن العديد من المظالم الاجتماعية والاقتصادية التي أدّت إلى تلك الاحتجاجات بشكل جزئي قد تفاقمت فقط بسبب وباء فايروس كورونا. وعندما تعود الحياة إلى طبيعتها في نهاية المطاف، فقد تواجه الحكومات العربية في جميع أنحاء المنطقة انتقادات شديدة من جانب شعوبها التي ستُطالب بالأمن الاقتصادي. وإذا لم يكن من الممكن تلبية تلك المظالم، فقد تكون هناك موجة جديدة من الاحتجاجات مع عواقب أكبر بكثير على استقرار المنطقة.